المحاضرة السادسة: الصحافة المكتوبة والأدب الجزائري

تعدّ العلاقة بين **الصحافة المكتوبة والأدب الجزائري** علاقةً تكاملية عميقة، حيث شكّلت كل منهما مرآةً عاكسةً للأخرى وساهمت في تشكيل المشهد الثقافي والفكري للجزائر. لم تكن الصحافة مجرد وسيلة لنقل الأخبار بل كانت منبراً حيوياً احتضن الإبداع الأدبي ووفر للأدباء الجزائريين مساحةً للتعبير عن قضايا أمتهم وتطلعاتها، " **فالدارس للنهضة الأدبية والثقافية المعاصرة في الجزائر، لن يجد محيصا من أن يقرر بأن الصحافة كانت ذات أثر بعيد على إذكاء النهضة الأدبية في الجزائر واغنائها**" [1]، لا سيما في ظل غياب دور النشر المتخصصة في المراحل المبكرة، ولقد تغلغل الأسلوب الأدبي في متن الكتابة الصحفية، مانحاً إياها قوةً بلاغيةً وجاذبيةً للقارئ، بينما ساهمت الصحافة في انتشار الأعمال الأدبية ووصولها إلى جمهور أوسع، مما عزز من دورها في ترسيخ الهوية الوطنية ومواجهة التحديات الثقافية آنذاك. هذه العلاقة المتبادلة أثمرت جيلاً من الأدباء الذين برزوا عبر صفحات الجرائد والمجلات.

وتتجلى العلاقة التاريخية بين الصحافة والأدب في الجزائر كمسار تحولي خضع لمتغيرات السياق السوسيو–ثقافي وطبيعة الأداء الإعلامي عبر الزمن، إذ لم يستقر هذا التفاعل على نمط واحد، بل تذبذب تبعاً لمقتضيات كل مرحلة ومستوى الوعي الجمعي؛ "**ومعروف أن مرت بصحافتنا أدوار ثلاثة في تاريخنا الحديث، دور كانت تهتم فيه بالمقالة الأدبية أكثر من اهتمامها بالخبر الصحفي، ودور تكافأ فيه الضربان من الإهتمام، ثم هذا الدور الذي تعيشه والذي تهتم فيه بالخبر المثير أكثر مما تهتم بالمقالة على أنها عادت فخصصت للأدب ومقالاته ملاحق أسبوعية**"[2] ويعكس هذا الانتقال من المركزية الأدبية إلى هيمنة الخبر التقريري قدرة المؤسسة الصحفية على التكيف مع ميكانزمات العصر الرقمي وسرعة التدفق المعلوماتي، دون أن يتخلى الأدب عن موقعه السيادي، حيث استمر في الحفاظ على خصوصيته التعبيرية عبر الفضاءات المتخصصة والملاحق الثقافية، ليظل الطرفان في حالة تلازم وظيفي تخدم الفعل الفكري والإبداعي.

---

[1] عبد الملك مرتاض، نهضة الادب العربي المعاصر في الجزائر 1925– 1954، الشركة الوطنية للنشر والتوزيعن الجزائر، د.ط، ص 112.

[2] شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، مصر، ط4، 1976، ص 203.

1. العلاقة التأثيرية التي تجمع الأدب بالصحافة

تبلورت في المشهد الثقافي المعاصر ملامح "الصحافة الأدبية" كجنس تعبيري هجين، استمد قوته من توظيف الطفرات التقنية –بدءاً من ثورة الطباعة وصولاً إلى الوسائط الرقمية– لخدمة الخطاب الإبداعي وتوسيع نطاق تداوله. فقد أخرجت الصحافةُ النصَّ الأدبي من حيز النخبوية وضيق الانتشار المكاني والزماني، لتدفع به نحو فضاءات عالمية رحبة تجعل الإبداع متاحاً للجمهور العريض بمرونة وسرعة فائقتين. ورغم أن هذا التماس المباشر مع القوالب الصحفية قد أحدث تحولات جوهرية في التقنيات الفنية للأدب وأفرز أنماطاً كتابية مستحدثة، إلا أن الجوهر الإبداعي ظل محافظاً على كينونته، لتظل الصحيفة بذلك المحرك الاستراتيجي الذي فتح آفاقاً غير مسبوقة أمام الأدب، مكنته من التجدد والاستمرارية ومواكبة الحداثة المعرفية.

1.1 . على مستوى اللغة

تجلت العلاقة البنيوية بين الصحافة والأدب في ابتكار لغة بيانية متفردة، فرضتها طبيعة المنبر الصحفي الذي يتطلب مخاطبة جمهور عريض ومتنوع. وفي هذا السياق، يذهب الباحثون إلى "**أن ظهور الصحافة في القرن التاسع عشر ميلادي دفع بعض أساتذة الصحافة والأدب معاً إلى إضافة ما أسموه بالنثر الصحفي، وهو نوع يقع في منطقة وسطى بين لغة النثر الفني والنثر العادي، وقد قصد هؤلاء أن هذا النوع الجديد يأخذ من النثر العادي سهولته وشعبيته**" [1]وقد اعتمد الأدباء هذا النمط اللغوي لتجسير الهوة بين النخبوية والوجدان الشعبي، حيث طوعوا البلاغة الأدبية لتصبح أكثر مرونة وانفتاحاً على قضايا الواقع، دون المساس برصانة التعبير أو عمق الفكرة؛ مما أدى إلى ولادة أسلوب "السهل الممتنع" الذي ميّز الصحافة الأدبية، وجعل من المقال الصحفي نصاً إبداعياً يجمع بين الدقة التقريرية والجمالية الفنية.

شكلت الضرورات الوظيفية للممارسة الصحفية، والمتمثلة في متطلبات النشر اليومي ومخاطبة الجمهور العريض، دافعاً أساسياً لتحول الخطاب الأدبي من الأسلوب الإنشائي المتكلف إلى النثر المرسل. فقد فرضت الحاجة إلى السرعة في التحرير وجاذبية المضمون للعامة هجر الأسلوب التقليدي المبني على السجع والتنميق اللفظي المفرط، الذي كان حكراً على طائفة خاصة من القراء ونقصد" **تلك الطائفة التي قرأت الأدب القديم حينئذ واتخذت أساليبه مثلا أعلى لها، فقد تبين أن**

---

[1] محمد خليل ومحمد منصور، إنتاج اللغة الإعلامية في النصوص الإعلامية، مركز جامعة القاهرة، مصر، 2002م، ص 33.

الجمهور لا يقبل على هذه الأساليب بل قد يجد فيها ضروباً من الصعوبة" [1]، نتيجة لذلك شهدت المقالة الصحفية تحولاً بنيوياً، إذ تخلّى الأدباء عن التأنق والتكلف الشديد، وتبنوا أسلوباً مرسلاً يتسم بالسهولة والوضوح، مما حقق التوازن بين الفعالية الاتصالية وسرعة التداول الإعلامي دون الإخلال بجمالية التعبير وروعة المعنى.

2.1 على مستوى الأجناس الأدبية

لم يقتصر التأثير المتبادل بين الصحافة والأدب على استعارة الأدوات اللغوية فحسب، بل امتد ليشمل البنية الوظيفية للأجناس الأدبية ذاتها التي وجدت نفسها مضطرة لإعادة تشكيل قوالبها الفنية لتتلاءم مع الطبيعة الديناميكية للمنابر الإعلامية. وفي هذا الطرح، يرى الباحثون أن الصحافة كأداة تواصلية "**لها تأثيرها الكبير في الفكر والمزاج والعاطفة، قد وضع الأنواع الأدبية وفنون الكتابة أمام مهمة كبيرة وهي التكيف مع الصحافة الحديثة واستثمار وسائلها**" [2]وبناءً على ذلك، لم يعد العمل الأدبي رهين القوالب الكلاسيكية الجامدة، بل استلهم من العمل الصحفي سمات التكثيف، والواقعية، والسرعة في إيصال الرسالة، مما أدى في نهاية المطاف إلى انصهار الممارسة الأدبية في صلب العمل الصحفي، لتتحول الصحافة بذلك من مجرد وسيط ناقل إلى شريكٍ استراتيجي في صناعة وتطوير الأجناس الأدبية المعاصرة.

2. أثر الصحافة في إبراز أعلام الأدب الجزائري

تجسد الصحافة المكتوبة في الجزائر الفضاء المرجعي الذي احتضن التجربة الأدبية في مهدها، فكانت "الجسر الاتصالي" الأهم الذي عبر من خلاله الأديب نحو القارئ، والمنبر الذي صِيغت عبره المواقف الفكرية والجمالية. ولم تكن هذه العلاقة مجرد وسيلة للنشر بل كانت استراتيجية إبداعية اعتمدها كبار الأدباء لكسر العزلة الثقافية؛ حيث برزت أعمالٌ تأسيسية عبر أعمدة الصحف والمجلات قبل صدورها في كتب مستقلة ويتجلى هذا التلاحم في مسارات أدبية فارقة بدءاً من **محمد السعيد الزاهري** الذي اتخذ من صحيفة "الجزائر" فضاءً لنشر قصته "فرانسوا والرشيد"، ومروراً بـ **أحمد رضا حوحو** الذي قدّم عمله "غادة أم القرى" لجمهور مجلة "المنهل"، وصولاً إلى **مرزاق بقطاش** الذي

---

[1] شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ص 203.

[2] عبد الستار جبار، النقد الصحفي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1999، ص 14.

شقّ طريق روايته "طيور في الظهيرة" عبر صفحات جريدة "الشعب". هذا التداخل العضوي أفرز جنساً معرفياً متفرداً عُرف بـ "الصحافة الأدبية" وهي المنطقة الوسطى التي انصهرت فيها لغة الخبر بجماليات الأثر الأدبي، لتصبح الصحافة بذلك المحرك الأساسي لحركية الإبداع والفاعل الأبرز في تشكيل ملامح المشهد الأدبي الجزائري [1].

تُعدّ الصحافة الجزائرية الركيزة الأساسية التي استندت إليها الحركة الإبداعية في تبلورها وتطورها، حيث مثّلت بعض الصحف والمجلات المحطاتِ التأسيسيةَ والبداية الفعلية للنهضة الأدبية المعاصرة في الجزائر. وفي هذا الصدد، يؤكد الشيخ عبد الحميد بن باديس هذا الدور الريادي بقوله" :**الحقيقة التي يعلمها كل أحد إن هذه الحركة الأدبية ظهرت واضحة من يوم برزت جريدة المنتقد.. فمن يوم ذاك عرفت الجزائر من أبنائها كتاباً وشعراء ما كانت تعرفهم الجزائر من قبل"**[2] ويعود هذا التحول النوعي إلى قدرة الصحافة على استقطاب نخبة من كبار الأدباء والمثقفين، الذين سخروا أقلامهم لخدمة الهوية واللغة، مستفيدين من تكوينهم المعرفي الرصين الذي تلقوه في كبرى الحواضر العلمية " **تونس ومصر والحجاز مراكز الإشعاع العلمي في تلك الفترة، كالطيب العقبي (1960/1890) ، والمبارك الميلي(1898/ 1945) ، وأبو اليقظان (1973/1888) .....**"[3] وقد كان لهذا التكوين العلمي المتين الأثر البالغ في إثراء المحتوى الصحفي والأدبي، حيث استلهم هؤلاء الأعلام من تلك المراكز العلمية روح التجديد والإصلاح. هذا المزج بين الأصالة والتحديث هو ما منح الصحافة الأدبية الجزائرية عمقاً ورصانة، وجعلها الأداة الفاعلة في تشكيل الوعي ومواجهة التحديات الفكرية والثقافية خلال تلك الحقبة التاريخية الحاسمة.

تتسم التجربة الثقافية في الجزائر ما بعد الاستقلال بمعضلة "الانقطاع الهيكلي" وغياب الاستدامة في المشاريع الأدبية والصحفية، إذ يلاحظ المتابع للمشهد الثقافي افتقار الساحة الجزائرية لمنصات

---

[1] ينظر: محمد الصالح خرفي، تجربة الصحافة الأدبية في الجزائر – مجلة آمال نموذجا –، المجلة الجزائرية للإتصال، مج 11، ع 20، 2008، ص 117.

[2] جريدة الشهاب، دار الغرب الإسلامي، مج 11، ج1، بيروت، ط1، 1935، ص 28-30.

[3] كرامي صليحة، جريدة المنتقد ودورها في تطور الأدب الجزائري الحديث، جسور المعرفة، مج 07، ع 02، جوان 2021، ص 433.

أدبية صامدة استطاعت كسر حاجز العشرين عاماً من العطاء المتواصل، على خلاف الحواضر العربية والعالمية التي تمتلك دوريات أدبية عريقة تضرب جذورها في عقود من الزمن. ويعزى هذا "الاغتراب المؤسساتي" إلى غياب استراتيجية ثقافية بعيدة المدى، سواء لدى الجهات الرسمية أو المبادرات الفردية، حيث ظلت أغلب التجارب الأدبية الجزائرية رهينةً بظروف مرحلية عابرة، أو محكومةً بحسابات مصلحية ضيقة وتجاذبات إيديولوجية حالت دون تحولها إلى مؤسسات ثقافية مستقرة. هذا الفراغ في التراكم الزمني حال دون تشكيل تقاليد أدبية راسخة، وجعل الإبداع الجزائري يعيش في حلقات مفرغة تبدأ من الصفر مع كل جيل جديد، مما يعيق عملية التطور التراكمي الضروري لصناعة نهضة أدبية مستدامة تضاهي التجارب الإقليمية الرائدة[1]

في الختام يظهر التفاعل بين **الصحافة المكتوبة والأدب الجزائري** كعلاقة تلازمية ديناميكية، لم تكن مجرد وسيلة لنشر النصوص، بل كانت محركاً أساسياً للنهضة الفكرية والثقافية في الجزائر. لقد أسهمت الصحافة في دمقرطة المعرفة والأدب وأخرجت الأجناس الأدبية من دائرة النخبوية إلى الفضاء العام، مما فرض عليها التكيف مع متطلبات العصر والجمهور فتحولت اللغة من السجع المتكلف إلى النثر المرسل والأسلوب الواقعي. وعلى الرغم من التحولات التي طالت المشهد الإعلامي وتفضيل الخبر السريع، إلا أن العلاقة بين القلم والصحيفة ظلت قائمة، حيث يظل الأدب يغذي الصحافة بالعمق والجمالية، وتظل الصحافة الوعاء الحاضن الذي يضمن استمرارية وتطور الأدب الجزائري الحديث والمعاصر.

[1] ينظر: محمد الصالح خرفي، تجربة الصحافة الأدبية في الجزائر، ص 120.